التقوى

حقيقتها - أحكامها - آثارها



دراسات إسلامية

9

التقوى

حقيقتها - أحكامها - آثارها

الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي

وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية
بجامعة دمشق

دار المكتبي

الطبعة الأولى
1418 هـ - 1998 م

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، القائل : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس : ٦٢-٦٤] .

والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وقائد الغُرِّ الميامين ، ومنقذ البشرية إلى النعيم ، المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد : فإن التقوى من كلمات القرآن العظيم ترددت فيه عشرات المرات ، وهي صفة سامية من صفات المؤمنين ، وخلق رفيع للعباد الأبرار ، التزمها العارفون بالله تعالى ، وعشقها المسلمون الصادقون ، وتمثلها السلف الصالح ،

ومدح الله بها أولياءه وخاصته ، وجعل التقوى في قمّة الإيمان المرتبط بالعمل والسلوك ، والاعتقاد والفكر ، والحياة للفرد والمجتمع والأمة ، وهي خير الزاد إلى يوم المعاد ، ووصية الله تعالى للأولين والآخرين .

والتقوى هي الأمل الذي يتطلع إليه المصلحون ، ويسعى إليه الدعاة ، ويبحث عنه الصادقون ، ويلتزمه المقربون ، وهي في أدنى درجاتها واجب وفرض على كل مسلم ، وفي أعلى درجاتها صفاء ، ورفعة ، وورع والتزام ، ونجاح وفوز في الدارين ، وترقى بصاحبها إلى عليين .

والتقوى منهج رسول الله ﷺ ، وطريقه الهادي القويم ، لذلك كان إمامَ المتقين ، والله سبحانه وتعالى أهل التقوى ، وبشر المتقين بأن العاقبة لهم .

لذلك خصَّصت هذا البحث لهذا الجانب المضيء من صفات المؤمنين ، وهو إحدى قيم الإسلام ، للتذكير به ، والحث عليه ، والالتزام به ، واتخاذه طريقاً ومنهجاً في إصلاح الفرد والمجتمع والأمة ، واستنهاض الهمم لإقامة المجتمع الإسلامي الفاضل ، وتطبيق أحكام الإسلام الخالد ، وذلك بتتبع الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة

الواردة في التقوى ، مع آراء العلماء فيها ، واقتباس بعض الصور العملية والأمثلة التاريخية لها .

خطة البحث :

وقسمت البحث على النحو التالي :

- تقديم .
- **المبحث الأول** : تعريف التقوى وحقيقتها .
- **المبحث الثاني** : أوجه التقوى ، وعناصرها .
- **المبحث الثالث** : منازل التقوى وحكمها .
- **المبحث الرابع** : ثمرات التقوى وآثارها .
- **الخاتمة** : الوصية بالتقوى .

وأسأل الله تعالى العون والتوفيق والسداد ، وحسن القصد ، وسلامة البيان ، والسعي في التطبيق والالتزام ، والله ولي التوفيق .

* * *

المبحث الأول

تعريف التقوى

الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، وهذا يقتضي بيان تعريف التقوى لكشف حقيقتها ، ومعرفة مضمونها ، وتحديد عناصرها ، وتجلية حكمها ، ونبدأ بالتعريف اللغوي ، ثم بالتعريف الشرعي الاصطلاحي .

تعريف التقوى لغة :

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم باستعمالات متعددة ، فعلاً واسماً ، ووصفاً ، ومصدراً ، ولذلك نبين المعنى اللغوي لكل منها .

١ـ **أصل التقوى** : وَقْوَى ، أبدلت الواو تاء ، كما أبدلت في تراث ، وتُخمة ، وتجاه ، وكذلك اتقى ، يتقي ، أصله : إوْتقي ، يوتقي فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وأبدلت

منها التاء وأدغمت ، فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء من نفس الكلمة ، فجعلوه : إتقى ، يتقي ، بفتح التاء فيهما ، ثم لم يجدوا له مثالاً ، فقالوا : تَقَى ، يَتْقي ، مثل : قضى يقضي[1] .

٢ـ التقوى لغة : من أتّقى ، يتّقي ، وتَقَى يَتْقي ، والتقوى والتُقى واحد ، ومنها الوقاية ، وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره ، يقال : وَقَيْتُ الشيء أقيه وقاية ووقاء ، قال تعالى : ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾ [الإنسان : ١١] ، وقاه : حفظه ، والوقاء مثل كتاب كل ما وقيت به شيئاً ، والتقية والتقوى اسم منه[2] .

قال الفيروزبادي : « وقاه ، وَقْيا ، ووقاية ، وواقية : صانه... ، واتقيتَ الشيء... ، حَذِرته ، والاسم التقوى »[3] .

---

(١) بصائر ذوي التميز ٥/٢٥٦ ـ ٢٥٧ ، وانظر نفس المرجع ٢/٢٩٩ .

(٢) مختار الصحاح ص٧٣٣ ، المصباح المنير ٢/ ٩٩٢ ، بصائر ذوي التميز ٢/ ٣٠٠ .

(٣) القاموس المحيط ٤/ ٤٠١ .

وقال الزمخشري : « وقاه الله كل سوء ، ومن السوء ، وقاية ، ووقاه توقية »[1] .

ومنه الاتقاء الذي هو افتعال من التقوى ، وهو جعل الشيء في وقاية مما يخاف منه[2] .

٣ـ اتقى الشيء استقبله ، وجعل بينه وبينه حاجزاً ، تقول : اتقى الفارس السيف بالتُرْس ، ويقال : اتقاه : تحفظ منه ، وتصوّن ، وعمل على ألا يصحبه ضرر منه ، ومن ذلك اتقاء الله ، فهو تجنب عذابه ، وذلك بالعمل بما أمر الله به ، والانتهاء عما نهى عنه ، وقد اشتهر هذا المعنى في « الكتاب » وفي لسان الشرع حتى صار هو المراد عند الإطلاق ، واتقى فلان بكذا ، إذا جعله وقاية لنفسه[3] .

٤ـ التقوى : مشتقة من الوقاية ، وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره ، يقال : وقاه ، وَقْيا ، ووقاية ، وواقية :

---

(١) أساس البلاغة ص١٠٣٨ .
(٢) بصائر ذوي التمييز ٢/ ١١٥ .
(٣) المفردات للراغب الأصفهاني ص٨٨١ ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ٦/ ٢٧٥ .

صانه ، والتوقية الكلاءة والحفظ ، والتقاة ، التقية ، يقال : اتقي ، تقية ، وتُقاة ، قال تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾[1] [آل عمران : ٢٨] ، وورد أن الله أهل التقوى ، أي أهل أن يتقى ويخاف[2] .

٥ـ التقاة : التقوى ، وأصل التقاة : وُقْية ، فقلبت الواو تاءً ، والياء ألف ، فالتقاة اتقاء الله عز وجل ، واتقاء عذابه ، وقد تطلق على اتقاء المكروه من الناس ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، أي إلا أن تتقوا ما تخافون من جهنم ، أو تتقوا شرهم اتقاء[3] .

٦ـ التقي : وصف على فعيل للمبالغة ، وقد روعي أخذه من اتقى ، فالتاء فيه مبدلة من واو ، وهو الذي يلزم الطاعة ، ولايقع في المعصية ، فيتقي موارد السوء[4] .

---

(١) بصائر ذوي التمييز ١/ ٢٩٩ـ٣٠٠ .
(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٦/ ٢٧٧ .
(٣) المرجع السابق ٦/ ٢٧٨ .
(٤) المرجع السابق .

والتقي : المتقي ، وهو من جعل بينه ، وبين المعاصي ، وقاية تحول بينه وبينها ، من قوة عزمه على تركها ، وتوطين قلبه على ذلك ، فلذلك يقال له : متق[1] .

٧ـ الأتقى : اسم تفضيل من التقي ، فهو الأكثر اتقاء ، وهو عند الإطلاق في اتقاء الله وعذابه[2] .

فالتقوى لغة : هي الحفظ ، والصيانة ، والاحتراز ، والعمل على تجنب الضرر ، ليكون الإنسان في منجاة وسلامة .

تعريف التقوى اصطلاحاً :

ذكر علماء الشرع تعريفات كثيرة للتقوى ، وكل منها يدل على طرف من التقوى ، ويمثل جانباً منها ، ويبين المراد من التقوى .

وسأذكر تعريفات متعددة للتقوى لبيان الجوانب العملية المختلفة لهذه الصفة العظيمة ، وكل ذلك صحيح ومطلوب ،

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٣٠٠ .
(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم٢/ ٢٧٨ .

وورد به الشرع عامة ، والنصوص خاصة ، ويغطي العقيدة والفكر ، والسلوك والأحكام ، والآداب والأخلاق .

١ـ قال الإمام علي رضي الله عنه : « التقوى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل »[١] .

وقال علي رضي الله عنه : « التقوى أن يجدَك الله حيث أمرك ، وأن يفقدك حيث نهاك » .

٢ـ قال أبو بكر الكلاباذي : « التقوى : مشاهدة الأحوال على قدر الانفراد ، معناه أن يتقى مما سوى الله سكوناً إليه ، واستجلاء له ، وفي قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] ، أي بجميع استطاعتكم »[٢] .

٣ـ قال أبو عبد الله التونسي : « حقيقة التقوى عبارة عن امتثال المأمورات ، واجتناب المنهيات »[٣] .

٤ـ قال طلق بن حبيب : « التقوى عمل بطاعة الله ، على

---

(١) هكذا تكلم الأولياء والصالحون ٢/ ٨٤ .
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص٩٨ .
(٣) بصائر ذوي التمييز ٥/ ٢٥٧ .

نور من الله ، مخافة عقاب الله »[1] .

٥ـ قال أبو عبد الله الروذباري : « التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله »[2] .

٦ـ قال أبو القاسم القشيري : « وحقيقة الاتقاء : التحرز بطاعة الله عن عقوبته »[3] .

٧ـ قال سلطان العلماء العزُّ بن عبد السلام : « التقوى : فعل الواجبات ، وترك المحرمات ، وهي وصية الله في الأولين والآخرين »[4] ، ثم قال : « الاستقامة والتمسك بالكتاب ، وحفظ الحدود يعم المنهيات ، وفعل المأمورات »[5] .

٨ـ قال السيد الشريف الجرجاني : « التقوى في الطاعة : يراد به الإخلاص ، وفي المعصية يراد به الترك والحذر ، وقيل أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى ، وقيل : محافظة على آداب الشريعة ، وقيل : مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى ،

---

(١) الرسالة القشيرية ص٥٢ .
(٢) المرجع السابق ص٥٢ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) شجرة المعارف والأحوال ص٢٤٣ .
(٥) المرجع السابق ص٢٤٤ .

وقيل : ترك حظوظ النفس ومباينة النهي ، وقيل : أن لا ترى في نفسك شيئاً سوى الله ، وقيل : أن لا ترى نفسك خيراً من أحد ، وقيل : ترك ما دون الله ، والمتَّبع ـ عندهم ـ هو الذي اتقى متابعة الهوى ، وقيل : الاقتداء بالنَّبي ﷺ قولاً وفعلاً »[1] .

٩ـ قال الفيروزابادي : « التقوى في عرف الشرع : حفظ النفس عما يُؤثم ، وذلك بتجنب المحظور ، ويتم ذلك بترك كثير من المباحات » وقال أيضاً : « التقوى ، البالغة الجامعة : اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين »[2] .

١٠ـ جاء في « معجم ألفاظ القرآن الكريم » : « التقوى في لسان الشرع : اتقاء عذاب الله ، وذلك بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه »[3] .

معاني التقوى :

ومن تعريفات التقوى اللغوية والاصطلاحية استنتج العلماء معاني التقوى ، فقال الفيروزابادي :

---

(١) التعريفات ص٣٥ .
(٢) بصائر ذوي التمييز ٢/ ١١٥ .
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٦/ ٢٧٧ .

« فإن التقوى تطلق في القرآن الكريم على ثلاثة أشياء :

أحدهما : بمعنى الخشية والهيبة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [البقرة : ٤١] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

الثاني : بمعنى الطاعة والعبادة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، قال ابن عباس : أطيعوا الله تعالى حق طاعته ، وقال مجاهد : هو أن يُطاع فلا يُعصى ، وأن يُذكر فلا يُنسى ، وأن يُشكر فلا يُكفر .

الثالث : بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب ، وهذه هي الحقيقة في التقوى ، دون الأوليَيْن ، الأقرب إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور : ٥٢] ، ذكر الطاعة والخشية ، ثم ذكر التقوى ، فعلمت أن حقيقة التقوى بمعنى غير الطاعة والخشية ، وهي تنزيه القلب عما ذكرناه »[1] .

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥/٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، وانظر : الرسالة القشيرية ص٥٢ ، هكذا تكلم الأولياء والصالحون ٢/ ٨٣ .

المبحث الثاني

أوجه التقوى وعناصرها

تتمثل التقوى ـ نظرياً وعملياً ـ على أوجه كثيرة ، وتتكون من عناصر رئيسة لا محيدَ عنها ، وهو ما يجب بيانه .

أوجه التقوى :

تأتي التقوى من الآيات الكريمة ، والنصوص الكثيرة ، على أوجه ، منها .

١ـ الخوف والخشية من الله تعالى ، قال عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج : ١] ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ٢١] ، وقال تعالى في آخر آيات الصيام : ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

[البقرة : ١٨٧]

٢ـ التحذير والتخويف من وعيد الله تعالى وعقابه وناره ، قال تعالى : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل : ٢] .

٣ـ الاحتراز عن المعاصي ، والذنوب ، ومخالفة أحكام الشرع الحنيف ، قال تعالى : ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة : ١٨٩] ، أي اتركوا خلاف أمره .

٤ـ وجوب التوحيد والشهادة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠] ، أي وحّدوا الله تعالى .

٥ـ طلب الإخلاص واليقين ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [الحجرات : ٣] .

٦ـ وجوب الطاعة والعبادة لله تعالى ، قال تعالى . ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ [النحل : ٥٢] .

عناصر التقوى :

ويؤخذ من التعريفات السابقة ، والنصوص الكثيرة ، أن التقوى تعتمد على عنصرين رئيسين :

العنصر الأول : نفسي روحي قلبي ذاتي ، وهو صفاء القلب ، وإخلاص العمل لله تعالى ، بعد رسوخ الإيمان ، والنطق بالشهادتين ، والاعتراف بحق الألوهية والربوبية لله رب العالمين .

لذلك كان الإيمان والتقوى متلازمين ، فالله سبحانه وتعالى أمر بالإيمان ، كما أمر بالتقوى ، في آيات كثيرة ، وقرن بين الأمرين ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج : ١] .

بينما وجهت آيات أخرى الأمر بالتقوى للمؤمنين خاصة ، وذكرتهم بالإيمان ، وربطت بين الإيمان والتقوى ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد : ٢٨] ، وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٣٥] ، وقال عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب : ٧٠] .

وربط القرآن الكريم بين التقوى والأعمال الصالحة ، فقال تعالى : ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [المائدة : ٩٣] .

فالتقوى ثمرة من ثمار الإيمان ، لأن الإيمان الصادق لا بد أن يدفع صاحبه إلى تقوى الله ، والخوف من عذابه ، ومراقبته في الطاعة ، واجتناب المعاصي ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾

[المائدة : ٨٨]

كما أن التقوى تغذي الإيمان ، وتمده بمعين فياض ، وترفع درجته ، وتجعل صاحبه في المقام العالي ، كما سنرى في ثمرات التقوى وآثارها .

وقد حدد رسول الله ﷺ هذا العنصر الأول ، المهم ،

والأساسي في التقوى ، بقوله : « التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا »[1] ويشير إلى صدره الشريف ثلاث مرات ، كما سنذكره في العنصر الثاني .

العنصر الثاني للتقوى : عملي سلوكي ظاهري ، وهو الالتزام بالشرع الحنيف ، وتطبيق جميع أحكام الشرع ، وخاصة أداء الواجبات ، وتنفيذ المأمورات ، وترك المحرمات ، واجتناب المنهيات ، وهو ما تكرر في تعريفات التقوى السابقة .

وكل صورة للتقوى تجانب هذه الصفة الجوهرية فهي ادعاء ودجل وتمويه وكذب وافتراء ، لأن الشرع هو الأصل في ميزان الأعمال وقبولها ، وحسن السلوك والفلاح .

يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام : « كم من عمل يعتمد عليه المرائي ، وهو وبال عليه ، وكم من طاعة يهلك

---

(١) هذا الحديث صحيح ، رواه مسلم (١٦/ ١٢٠) والترمذي (٦/ ٥٤) وأحمد (٢/ ٢٧٧ ، ٣٦٠ ، ٣/ ١٣٥ ، ٤٩١ ، ٤/ ٦٦ ، ٦٩ ، ٥/ ٢٤ ، ٢٥ ، ٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٨١) ، وانظر : الفتح الكبير ٣/ ٣١٦ .

بها المتسمع مردودة إليه ، والشرع ميزان يوزن به الرجال ، ويه يتبين الربح والخسران ، فمن ربح في ميزان الشرع كان من أولياء الله » .

ثم قال العز رحمه الله تعالى : « ومن نقص في ميزان الشرع فأولئك أهل الخسران. . . » إلى قوله : « فإذا رأيتَ إنسانا يطير في الهواء ، أويمشي على الماء ، أو يخبر عن المغيبات ، ثم يخالف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب ، ويترك الواجبات بغير سبب مجوّز ، فاعلم أنه شيطان ، نصبه الله فتنة للجهلة ، وليس ذلك ببعيد من الأسباب التي وضعها الله للضلال »[1] .

ونكرر ما سبق ذكره ، قال طلق بن حبيب : « التقوى عمل بطاعة الله ، على نور الله ، مخافة عقاب الله »[2] ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، قال مجاهد : معناه أن يطاع

---

(١) أحوال الناس وذكر الخاسرين والرابحين منهم ص٢٢ .
(٢) الرسالة القشيرية ص٥٢ ، هكذا تكلم الأولياء والصالحون ٢/ ٨٤ .

فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر[1] .

والمتقي حقيقة ـ على هذا ـ هو المتمسك بحبل الله المتين ، والمتلزم بشرعه الحكيم ، والمجتنب للمحرمات ، والمبتعد عن المعاصي ، مع الخوف من الله تعالى .

ولذلك قال سهل : « من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها » وقال أبو عبد الله الروذباري : « التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله »[2] .

وجمع ابن عطاء بين العنصرين السابقين للتقوى ، فقال : « التقوى ظاهر وباطن ، فظاهره محافظة الحدود (الأحكام) وباطنه النية والإخلاص »[3] .

قال حجة الإسلام الغزالي : « أصول التصوف : أكل الحلال ، والاقتداء برسول الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله ، وأوامره وسنته ، ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث

---

(١) الرسالة القشيرية ص٥٢ ، هكذا تكلم الأولياء والصالحون ٨٣/٢ .
(٢) الرسالة القشيرية ص٥٢ .
(٣) المرجع السابق .

لا يقتدى به في هذا الأمر ، لأن علمنا مضبوط بالكتاب والسنـة ، أخـذ بهـذا المـذهـب بـالـورع والتقـوى ، لا بالدعاوى »[1] .

وهذا العنصر الثاني يوجب علينا أن نشير باختصار إلى الوسيلة الموصلة للتقوى .

وسيلة التقوى :

إن الوسائل الموصلة للتقوى تتحدد بالمنهج الشرعي الصحيح الثابت في القرآن والسنة ، وليس بالابتداع ، واستيراد الطرق ، وتقليد الأفكار والمذاهب المفتراة والمدسوسة .

ولكن التقوى لا تنحصر بوسيلة معينة ، بل وسائلها عديدة ضمن إطار الشرع ، فكل عمل صالح وسيلة للتقوى ، واجتناب كل محرم وسيلة للتقوى ، وتطبيق كل حكم شرعي يساهم في غذاء التقوى ، وهذا ما بينه رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة

---

(١) روضة الطالبين وعمدة السالكين ص٣١ .

رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره » ثم كشف الرسول الله ﷺ السر الكامن في التقوى ، فقال : « التقوى ههنا ، وأشار إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه »[(١)] .

وقال رسول الله ﷺ : « اتقِ الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[(٢)] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اتق الله فيما تعلم »[(٣)] ،

---

(١) صحيح مسلم ١٦/ ١٢٠ ، سنن الترمذي ٦/ ٥٤ ، مسند أحمد ٢/ ٢٧٧ ، ٣٦٠ .

(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي ذر رضي الله عنه (الفتح الكبير ١/ ٣٣) .

(٣) رواه الترمذي ، والبخاري في التاريخ ، عن زيد بن سلمة الجعفي (الفتح الكبير ١/ ٣٣) .

وقال : « اتق اللهَ في عسرك ويسرك »[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « اتق الله ، وأقم الصلاة ، وآت الزكاة ، وحج البيت واعتمر ، وسرّ والديك ، وصل رحمك ، وأقْرِ الضيف ، وأمر بالمعروف ، وانَه عن المنكر ، وزُل مع الحق حيثما زال »[2] .

وقال ﷺ : « اتق الله ، ولا تحقرن من المعروف شيئاً . . . ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط »[3] .

وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : « اتقوا الله ، وصلوا خمسكم وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا أمراءكم ، تدخلوا جنة ربكم »[4] .

---

(١) رواه أبو قرة الزبيدي في سننه عن طليب بن عرفة (الفتح الكبير ١/ ٣٣) .
(٢) رواه الطبراني عن مخول السلمي (الفتح الكبير ١/ ٣٣) .
(٣) رواه الطيالسي وابن حبان في صحيحه عن جابر بن سليم الهجيمي (الفتح الكبير ١/ ٣٣) .
(٤) رواه الترمذي في آخر كتاب الصلاة ، وقال : حديث حسن صحيح (رياض الصالحين ص٩٧) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله ولو بشق تمرة »[1] .

وهذا يذكر بكلام سلطان العلماء العز بن عبد السلام وغيره في الوقوف على حدود الشرع ، وأنه الميزان الذي توزن به الأعمال ، وهو ما قرره القرآن الكريم أصلاً بقوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [يونس : ٦٢ـ٦٤] ، وهو ما أكده العلماء بتعريف آخر للتقوى ، وهي « أن يجدك الله حيث أمرك ، وأن يفقدك حيث نهاك » .

قال الغزالي : « فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال ، وبه تكون حياتهم ، وعيشتهم ، إذ فيه يرون تجارتهم وربحهم »[2] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي عن عدي بن حاتم ، وأحمدعن عائشة ، وغيرهم (الفتح الكبير ١/ ٣٥) ، سنن الترمذي ٧/ ٩٩ ، وأنظر بقية الأحاديث التي تبدأ بلفظ « اتق » و « اتقوا » ثم تبين وسائل ذلك في (الفتح الكبير ١/ ٣٣ـ ٣٦) .

(٢) إحياء علوم الدين ٥/ ٧٩٨ .

وهكذا تتعدد وسائل التقوى ، وترد في مناهج التربية الإسلامية عامة في الإيمان والعقيدة ، والعبادة والمعاملة ، وتهذيب النفس في الآداب والأخلاق ، والتقرب من الله تعالى نية وقولاً وفعلاً ، وحسن الصلة به ، والعمل فيما يحبه ويرضاه .

* * *

المبحث الثالث

منازل التقوى وحكمها

إن الإيمان على درجات ومنازل ، وإن الأعمال تتفاوت من إنسان إلى آخر ، ونتيجة لذلك كانت التقوى على درجات ومنازل تختلف بحسب أحوال الناس المتفاوتة ، وبناء على هذه الدرجات يختلف الحكم الشرعي لكل درجة .

منازل التقوى :

إن التقوى على أربعة منازل رئيسة ، وهي :

١ـ التقوى عن الشرك .

٢ـ التقوى عن البدعة .

٣ـ التقوى عن المعاصي الفرعية .

وقد ذكر الله تعالى هذه المنازل الثلاث في آية واحدة فقال عز وجل : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا

طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة : ٩٣] .

فالتقوى الأولى عن الشرك ، والإيمان في مقابله : التوحيد ، والتقوى الثانية عن البدعة ، والإيمان المذكور معها ، السنة والجماعة ، والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية ، والإقرار فيها قابلها بالإحسان ، وهو الطاعة والاستقامة عليها[١] .

٤ـ التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال ، وهي ما رجحها الغزالي من الخبر المشهور عن النَّبي ﷺ قال : « إنما سمي المتقون متقين لتركهم مالا بأس به حذرا عما به بأس » وفي رواية : « لا يبلغ الرجل أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به البأس »[٢] ، والتقوى اجتناب ما تخاف ضرراً في دينك ، وذلك قسمان : محض الحرام ، وفضول الحلال ، لأن استعمال فضول الحلال قد يخرج

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥/٢٥٨ ، وانظر نفس المرجع ٢/١١٥ ، الرسالة القشيرية ص٥٢ .

(٢) رواه ابن ماجه ٢/١٤٠٩ رقم ٤٢١٥ ، وانظر : إحياء علوم الدين ٥/٨١٤ .

صاحبه إلى الحرام ، ومحض العصيان ، وذلك لشره النفس ، وضغيانها ، فمن أراد أن يأمن الضرر في دينه اجتنب المحظور ، وامتنع عن فضول الحلال حذراً أن يجره إلى محض الحرام[1] .

وأيد ذلك الفيروزابادي فقال : « ويتم ذلك بترك كثير من المباحات ، كما في الحديث : الحلال بيِّن ، والحرام بيِّن ، . . . ومن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه »[2] ، إلى آخر كلامه[3] .

ووصف الغزالي ورع المتقين ، فقال : « وهو ما لا تحرمه الفتوى ، ولا شبهة في حله ، ولكن يخاف من أدائه إلى محرم ، وهو ترك ما لا بأس به ، مخافة مما به

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥/٢٥٨ـ٢٥٩ .

(٢) رواه البخاري (١/٢٨ رقم ٥٢) ومسلم (١١/٢٨ رقم ١٥٩٩) ورواه أبو داود (بيوع١ ، والنسائي بيوع ٢ ، والدارمي بيوع١ ، وأحمد ٤/٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٥) .

(٣) بصائر ذوي التمييز ٢/ ١١٥ ، وقد سبق إلى هذه المعاني الراغب الأصفهاني (مفردات ألفاظ القرآن ص٨٨١) .

بأس ، وهذا ورع المتقين »[1] ، وساق الحديث السابق .

ولذلك قيل : التقوى على وجوه : للعامة ترك الشرك ، وللخاصة ترك المعاصي ، وللأولياء تقوى التوسل بالأفعال ، وللأنبياء تقوى نسبة الأفعال ، إذ تقواهم منه إليه[2] .

حكم التقوى :

وبناء على هذا البيان والشرح والتصور والتقسيم لمنازل المتقين يتبين أن حكم التقوى على درجتين :

١ـ الفرض والواجب : فالتقوى فرض وواجب في التوقي عن الشرك ، والتوقي عن البدعة ، والتوقي عن المحظورات والمحرمات ، وتنزيه القلب عن كل شر لم يَسْبق عنك مثله ، لقوة العزم على تركه ، حتى يصير وقاية بين الشخص وكل شر .

---

(١) إحياء علوم الدين ٥/ ٨١٤ .

(٢) الرسالة القشيرية ص٥٣ ، هكذا تكلم الأولياء والصالحون ٢/ ٨٤ .

ويلزم على فقد هذه الدرجة من التقوى العقاب والإثم والعذاب في الدنيا والآخرة .

أما من اتصف بهذه الدرجة فهو في المنزلة الأدنى من التقوى ، ودخل حظيرة الإيمان والإسلام ، ويقف في أول الطريق للسير على منازل السالكين ، وعباد الله المتقين ، ومنهج الأنبياء والمرسلين .

٢ـ الندب والنفل : وهو التقوى عما نهي عنه نهي تأديب ، من فضول الحلال ، وما يترخص فيه من المباحات ، فإذا انتاب المباحَ شبهة فالأولى تركه ، وهو خير وأدب ، وإذا لم يلتزم المؤمن بذلك استحق التعيير واللوم ، ومن اتصف بها فهو في الدرجات العليا من التقوى[١] .

ويبين رسول الله ﷺ دليل الحكمين معاً في الحديث القدسي الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحَرْب ، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥/ ٢٥٩ .

أحبه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت ، وأن أكره مساءته »[1] .

وهكذا يترقى المؤمن في درجات الفلاح ، ومنازل التقوى ، حتى يقتدي بإمام المتقين ، ويلج نعيم المتقين الفائزين ، ويحشر في زمرة أولياء الله الصالحين ، كما سنرى ذلك في آثار التقوى ونتائجها وثمارها .

* * *

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢٣٨٥ رقم ٦١٣٧ .

المبحث الرابع

ثمرات التقوى وآثارها

نظراً لأهمية التقوى ، وكثرة النصوص الواردة في الترغيب بها ، وحثّ القرآن الكريم والسنة النبوية عليها ، فقد بين القرآن والسنة الثمرات اليانعة ، والآثار الطيبة التي تحققها التقوى ، حتى سماها الفيروزابادي : « البشارات التي بشر الله تعالى بها المتقين في القرآن الكريم »[1] .

وهذه الثرات والآثار والنتائج كثيرة ، ومبثوثة في الآيات الكريمة ، ونقتصر على أهمها ، وهي :

١ـ الكرامة عند الله تعالى : قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ [يونس : ٦٣ـ٦٤] .

قال أبو الحسن الزنجاني : « من كان رأس ماله التقوى

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٣٠١ وما بعدها .

كلت الألسن عن وصف ريحه »[1] .

٢ـ العون والنصرة من الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [النحل : ١٢٨] .

٣ـ العلم والحكمة اللدنية من الله تعالى ، قال عز وجل : ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال : ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٨٢]

٤ـ كفارة الذنوب وتعظيم المتقي بتعظيم أجره ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق : ٥]

٥ـ المغفرة من الذنوب ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال : ٦٩] .

٦ـ اليسر والسهولة في الأمر ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٤] .

٧ـ الخروج من الغم والمحنة ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق : ٢] ، قال ابن عباس : قرأ النَّبي ﷺ

---

(١) الرسالة القشيرية ص٥٢ .

الآية وقال : « مخرجاً من مهمات الدنيا ، ومن غمرات الموت ، ومن شدائد يوم القيامة »[1] .

٨ـ الرزق الواسع بأمن وفراغ ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ـ٣] ، وقيل : من يتق الله في الرزق وغيره بقطع العلائق يجعل له مخرجاً بالكفاية ، ويرزقه من حيث لا يحتسب[2] .

٩ـ الفوز بالمراد ، قال تعالى : ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر : ٦١] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴾ [النبأ : ٣١ـ٣٢] .

١٠ـ النجاة من العذاب والعقوبة في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾ [مريم : ٧١ـ٧٢] .

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٥/ ٢٦٢ ، وقال الحسن بن الفضل : « ومن يتق الله في أداء الفرائض يجعل له مخرجاً من العقوبة ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » وقال عمر بن عثمان الصوفي : « ومن يقف عند حدوده ، ويجتنب معاصيه ، يخرجه من الحرام إلى الحلال ، ومن الضيق إلى السعة ومن النار إلى الجنة » المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

قال الغزالي : « وإنما النجاة بالتقوى ، قال ﷺ : اتق الله حيثما كنت »[1] .

١١ـ التوفيق والعصمة ، قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

١٢ـ الشهادة للمتقين بالصدق ، قال تعالى في صفات الأبرار : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

[البقرة : ١٧٧]

١٣ـ الكرامة والأكرمية عند الله تعالى ، قال عز وجل : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] وهذا يدل على أن التقوى هي الميزان عند رب العالمين ، وهي معيار التفضيل والتكريم ، وأساس المحبة والقرب من الله تعالى ، حيث لاينفع مال ، ولا بنون ، ولا سلطان وجاه ، ولا يجدي

---

(١) إحياء علوم الدين ٥/ ٧٩٨ والحديث سبق ص ٢٥ .

نسب ، ولا عرق ، ولا جنس ، ولا يقدم علم أو ذكاة .

وهذا ما أكده رسول الله ﷺ ، فيما رواه جابر بن عبد الله ، قال : « خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع ، فقال : « ياأيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[1] .

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قيل : يارسول الله ، من أكرم الناس ؟ قال : أتقاهم ، فقالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فعن معادن العرب تسألوني ؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهُوا »[2] أي علموا أحكام الشرع .

وقال أبو بكر الرازي : سمعت الكناني يقول : قسمت

---

(١) رواه البيهقي عن جابر مرفوعاً .
(٢) رياض الصالحين ص٩٦ ، صحيح البخاري ٣/ ١٢٢٤ ، صحيح مسلم ١٥/ ١٣٤ .

الدنيا على البلوى ، وقسمت الآخرة على التقوى[1] .

١٤ـ محبة الله تعالى للمتقين ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ٤] .

١٥ـ الفلاح للمتقين ، قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

١٦ـ نيل الوصال والقربة عند الله تعالى ، قال عز وجل : ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج : ٣٧] .

١٧ـ نيل الجزاء بالمحنة ، قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف : ٩٠] .

١٨ـ قبول الله للصدقة من المتقين ، قال تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة : ٢٧] ، وهذا يشعر بأن الأمر كله راجع إلى التقوى[2] .

١٩ـ الصفاء والصفوة في التقوى ، قال تعالى : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج : ٣٢] .

---

(١) الرسالة القشيرية ص٥٢ .

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢/ ١١٦ ، ٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

٢٠ـ كمال العبودية لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

٢١ـ بشارة المتقين بالجنات والعيون ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الذاريات: ١٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ [الطور : ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر : ٥٤ـ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [القلم : ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [المرسلات : ٤١ـ٤٢] .

٢٢ـ الأمن من البلية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان : ٥١] .

٢٣ـ العز والفوقية على الخَلْق ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [البقرة : ٢١٢] .

٢٤ـ زوال الخوف والحَزَن من العقوبة ، قال تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٥] .

٢٥ـ إكرام المتقين بالأزواج الموافقة لهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ [النبأ : ٣١ـ٣٣] .

٢٦ـ قرب الحضرة واللقاء والرؤية لله تعالى في الجنة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر : ٥٤ـ٥٥] وقال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر : ٢٤] ، وهذا تنبيه على شدة ما ينال الناس من العذاب يوم الحساب ، وأن أجدر شيء يتقون به من العذاب يوم القيامة هو وجوههم ، لقوله تعالى : ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم : ٥٠] ، ثم قال تعالى عن نفسه : ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المدثر : ٥٦] ، أي أهل أن يتقى عقابه[(١)] .

٢٧ـ الأتقياء هم آل النَّبي ﷺ ، فعن أنس قال : « قيل : يا نبي الله ، من آل محمد ، قال : كل تقي » أورده القشيري ، ثم قال : « فالتقوى جماع الخيرات »[(٢)] .

٢٨ـ إحسان الظن بالمتقين ، قال العز بن عبد السلام : « تقوى المتقي مانعة من إساءة الظن به ، لأن تقواه تحجزه عن

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٣٠٣ ، مفردات ألفاظ القرآن ص٨٨١ .
(٢) الرسالة القشيرية ص٥٢ .

الفسوق والعصيان »[1] .

٢٩ـ المتقون هم أولياء الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٤] .

٣٠ـ التقوى هي بداية الهداية ، قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١ـ٢] ، ثم يرتقي المتقي في المنازل والدرجات العليا كما سبق في الآيات الكريمة .

٣١ـ الخلود في الجنة ، قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، فكأنها خاصة بهم[2] .

ويلخص الفيروزابادي آثار التقوى وثمارها فيقول : « واعلم أن التقوى كنز عظيم ، إن ظفرت به ، فكم تجد فيه من جوهر شريف ، وعلق نفيس ، وخير كثير ، ورزق كريم ، وغنم جسيم ، وملك عظيم ، فهي الخصلة التي تجمع خير

---

(١) شجرة المعارف ص٩٠ .
(٢) بصائر ذوي التمييز ٥/ ٢٦٠ .

الدنيا والآخرة ، وتأمل ما في القرآن من ذكرها »[1] . ، كم علق بها من خير ، وكم وعد عليها من ثواب ، وكم أضاف إليها من سعادة[2] ، وذكر بعض الآيات منها قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

ونظراً لهذه الآثار الطيبة ، والنتائج الباهرة ، والثمرات النافعة فقد طلب الله تعالى من الناس أن يتعاونوا دائماً على البر والتقوى ، لتحصيل ثوابها وآثارها ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٢] .

وأكد ذلك العز بن عبد السلام ، فقال : « مراتب المعونة

---

(١) وردت كلمة المتقين في القرآن الكريم ٤٣ مرة ، وكلمة « المتقون » ٦ مرات ، وكلمة التقوى ١٥ مرة ، والأمر بالتقوى « فليتقوا » « اتق » « اتقوا » ٧٣ مرة ، وبقية مشتقات التقوى ٨٣ مرة .

(٢) بصائر ذوي التمييز ٥/ ١٥٩ .

على الخيرات مأخوذة من تلك الخيرات ، فالمعاونة على أفضل الخُيُور أفضل المُعاونات »[1] .

الخاتمة : الوصية بالتقوى :

ونختم هذا البحث بتقديم الوصية بالتقوى لكل مسلم ومؤمن ، تنفيذاً لما ورد في الآيات الكثيرة ، ووقوفاً عند وصية القرآن الكريم ، وهي وصية رسول الله ﷺ لمن استوصاه خاصة ، ولكل مسلم عامة .

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النَّبي ﷺ يريد سفراً ، فقال : يارسول الله أوصني ، قال : أوصيك بتقوى الله ، والتكبير على كل شرف[2] .

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاء فقال : أوصني ، فقال : سألتَ عما سألتُ عنه رسول الله ﷺ من قبلك ، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل

---

(١) شجرة المعارف ص٢١٩ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٢/ ٣٢٥ ، ورواه ابن ماجه بلفظ في أوله : « أن رسول الله ﷺ قال لرجل. . . » (سنن ابن ماجه ٢/ ٩٢٦) .

شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في السماء ، وذكرك في الأرض[1] .

وروى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ستة أيام ، ثم اعقل يا أبا ذر ما أقول بعد ، فلما كان اليوم السابع قال : « أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته ، إذا أسأت فأحسن ، ولا تسأل أحداً شيئاً ، وإن سقط سوطك ، ولا تقبض أمانة ، ولا تقض بين اثنين »[2] .

وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الدعاء وسؤال التقوى ، وذلك فيما رواه مسلم والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ كان يقول : « اللهم إني أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى »[3] .

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٨٢ ، وانظر : الرسالة القشيرية ص٥٢ ، هكذا تكلم الأولياء والصالحون ٢/ ٨٣ .

(٢) مسند أحمد ٥/ ١٨١ .

(٣) صحيح مسلم ١٧/ ٤١ ، سنن الترمذي ٩/ ٤٦١ ، سنن ابن ماجه ٢/ ١٢٦٠ ، مسند أحمد ١/ ٣٨٩ ، ٤١١ ، ٤١٧ ، ٤٣٤ ، رياض الصالحين ص٩٧ .

وهـو مـا يـردده المسلمـون فـي كـل وقـت وحيـن ، ويدعون الله تعالى ، ويسألونه التقى في حياتهم ، ويتناصحون فيما بينهم ، ويقدمونه وصية لبعضهم البعض .

ولذلك عرف العز بن السلام التقوى ، ثم قال : « وهي وصيـة الله فـي الأوليـن والآخـريـن »[1] مستشهـداً بقـول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١] .

ونقل الفيروزابادي نصاً طريفاً في الوصية بالتقوى ، فقال : « قال بعض المريدين لشيخه : أوصني ، قال : أوصيك بما أوصى الله تعالى الأولين والآخرين ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١] ، قال الشيخ أبو حامد رحمه الله : أليس ألله سبحانه أعلم بصلاح العبد من كل أحد ، ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد ، وأجمع للخير ، وأعظم للأجر ، وأجل في العبودية ، وأعظم في القَدْر ، وأولى في المال ، وأنجحُ في المآل من هذه الخصلة التي هي التقوى ،

---

(١) شجرة المعارف والأحوال ص٣٤٣ .

لكان الله سبحانه أمربها عباده ، وأوصى خواصه بذلك ، لكمال حكمته ورحمته ، فلما أوصى بهذه الخصلة جميع الأولين والآخرين من عباده ، واقتصر عليها ، علمنا أنها الغاية التي لا متجاوز عنها ، ولا مقتصَر دونها ، وأنه عز وجل قد جمع كل مَحْض نصح ، ودلالة ، وإرشاد وتأديب ، وتعليم ، وتهذيب في هذه الوصية الواحدة ، كما يليق بحكمته ورحمته ، فهي الخصلة الجامعة لخير الدنيا والآخرة ، الكافية لجميع المهمات ، المُبْلِغَة إلى أعلى الدرجات ، وهذا أصل لا مزيد عليه ، وفيه كفاية لمن أبصر واهتدى ، وعمل واستغنى ، والله ولي التوفيق » ، ولقد أحسن القائل :

من عرف الله فلم تُغْنه　　　معرفةُ الله فذاك الشقي

ما يَصْنَعُ العبد بعز الغنى　　　والعز كل العز للمتقي »[1]

* * *

(١) بصائر ذوي التمييز ٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦١ ، وانظر المرجع السابق ٢/ ١١٦ـ ١١٧ .

أهم مراجع البحث

١ـ أحوال الناس وذكر الخاسرين والرابحين منهم ، العز بن بعد السلام ٦٦٠ هـ ـ دار الصحابة للتراث ـ القاهرة ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م .

٢ـ أساس البلاغة ، جار الله ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨ هـ ـ كتاب الشعب ـ القاهرة ١٩٦٠م .

٣ـ بصائر ذوي التمييز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ٨١٧ هـ ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ١٣٨٥هـ .

٤ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ، أبو بكر محمد الكلاباذي ٣٨٠ هـ ـ دار الإيمان ـ ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م .

٥ـ التعريفات للشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني ٨١٦ هـ ـ الدار التونسية ـ تونس ، ١٩٧١م .

٦ـ روضة الطالبين وعمدة السالكين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ٥٠٥ هـ ـ دار النهضة الحديثة ـ بيروت ـ د . ت .

٧ـ رياض الصالحين ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ٦٧٦ هـ ـ دار الفكر ـ دمشق ط١ ـ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

٨ـ سنن الترمذي مع تحفة الأحوذي ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٢٧٩ هـ ـ مط المدني ـ القاهرة ط٢ـ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م .
٩ـ سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله ، محمد بن يزيد القزويني ٢٧٥ هـ ـ دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢م .
١٠ـ سنن النسائي ، أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣ هـ مط مصطفى البابي الحلبي مصر ط١ ـ ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م .
١١ـ صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦ هـ ـ دار القلم ـ دمشق ط١ ـ ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م .
١٢ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، مسلم بن الحجّاج القشيري ٢٦١ هـ ـ مط المصرية ـ القاهرة ط١ ـ ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣٠ م .
١٣ـ شجرة المعارف والأحوال ، العز بن عبد السلام ٦٦٠ هـ ـ دار الطباع ـ دمشق ط١ ـ ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩م .
١٤ـ الفتح الكبير ، ترتيب يوسف النبهاني ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣٢م ، مط مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٥٠هـ .
١٥ـ القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ٨١٧ هـ ـ المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ـ ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م .
١٦ـ مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، (بعد ٦٦٦هـ) ، المطبعة الأميرية ـ القاهرة ـ ١٣٧٠ هـ/ ١٩٥٠م .

١٧ـ مسند الإمام أحمد ، أحمد بن حنبل ٢٤١هـ ، ـ تصوير المكتب الإسلامي ـ بيروت ط٢ ـ ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م .
١٨ـ المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي ٧٧٠هـ ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة ط٦ ـ ١٩٢٦م .
١٩ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ، محمد علي النجار وجماعة ، نشر مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ـ ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م .
٢٠ـ مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني (حوالي ٤٢٥ هـ ، أو ٥٠٢ هـ) ـ دار القلم ـ دمشق ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م .
٢١ـ هكذا تكلم الأولياء والصالحون ، أحمد حسين كعكو ـ دار الإيمان ـ دمشق ط١ ـ ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م .

* * *

المحتوى

* * *